سعاد الجفال ونورة لافي

تأملات في تاريخية الديمقراطية: ليبيا عبر التاريخ

نيرفانا

الطبعة الأولى، أفريل 2025
© جميع الحقوق محفوظة
دار نيرفانا للنشر
نهج المواصلات، إقامة أحمد، فيلا 61، الغزالة، اريانة 2083
الهاتف: 71763688 / 71866648
فاكس: 71866639

توضيب Nirvana
طباعة Focus

nirvana.tunis@gmail.com
nirvanaedition.com

فهرس الكتاب

تمهيد 7

التعريف بالمشاركين 11

جبل نفّوسة: المجال والسكّان وتدبير الشّأن العام
خلال العصر الوسيط (حياة عمامو/ جامعة 9 أفريل تونس) 21

مظاهر الحكم الذاتي في مدينة طرابلس في العهد الإسلامي
(ربيعة المداح/ جامعة طرابلس- ليبيا) 53

تأملات المستشرق الألماني مالتسان في السلطة والدين والقبيلة
في ليبيا 1869 (رضوان ضاوي/ الرباط المغرب) 75

المداولات الانتخابية لدى النقابات العمالية في ليبيا في منتصف القرن
العشرين، (رجاء المجدوب/ جامعة طرابلس- ليبيا).....89

قراءة وثائقية حول تأطير قوانين ودوائر ومراكز الاقتراع الانتخابية
النيابية في إقليم برقة والانتقادات الموجهة إليها 1919- 1950
(وليد شعيب/ جامعة طبرق- ليبيا) 117

آلية انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ والنواب و فق بنود الدستور الليبي 1951
(سمية الشعالي/ جامعة سرت- ليبيا) 141

مسار استقلال ليبيا وصداه في الصحافة التونسية 1950-1951.
(حلمي غزواني/ جامعة منوبة- تونس) 167

تاريخية الديمقراطية الليبية وتطوراتها الدستورية
1951-1952 (الزرقاء سالم/ جامعة سرت- ليبيا) 199

المظاهرات والعنف كأداة للرد علي انتخابات سنة 1952 في طرابلس
(سعاد محمد الجفال/ جامعة طرابلس- ليبيا /ZMO- Berlin)..... 219

تمهيد

يندرج هذا الكتاب ضمن برنامج HISDEMAB (تاريخية الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي) وهو مشروع أكاديمي يمتد خلال الفترة 2020-2023 بتمويل من Leibniz-Gemeinschaft في «مركز لايبنيز للدراسات الشرقية الحديثة» (Leibniz-Zentrum Moderner Orient- ZMO) برلين-ألمانيا، وبالتعاون مع «معهد لايبنيز للتاريخ الأوروبي» (Leibniz-Institut für Europäische Geschichte in Mainz-IEG) في مدينة ماينز، و «مركز لايبنيز للتاريخ المعاصر» (Leibniz-Zentrum für Zeithistorische Forschung in Potsdam- ZZF) في مدينة بوتسدام، وجامعة منوبة في تونس و«المعهد الفرنسي للشرق الأدنى» (Institut français du Proche-Orient -IFPO) في عمّان.

يتضمن الكتاب العديد من الأوراق التي قدمت في وقائعَ الندوة التي عُقِدت في برلين - طرابلس الغرب أونلاين يومي 25-26 يناير 2022 والتي كانت بعنوان «تأمّلات في تاريخية الديمقراطية: ليبيا عبر التاريخ»، حيث أشرف على تنظيمها الدكتورة سعاد الجفال والدكتورة نورة لافي، وتمت إدارة جلساتها بواسطة ثلة من الأساتذة والباحثين وهم: الدكتور مانفريد سينج والدكتورة فلسطين نايلي والباحث روبين شمال (Robin Schmahl)، والباحث سيمون باومان (Simon Baumann).

افتتحت الورشة وقدمت لها الأستاذة الدكتورة أولريكا فرايتاغ (Ulrike Freitag) مديرة معهد (Leibniz-Zentrum Moderner Orient- ZMO)،

مظاهر الحكم الذاتي في مدينة طرابلس في العهد الإسلامي

د. ربيعة أحمد المداح
جامعة طرابلس

ملخص:

تعرض الدراسة شكلاً من أشكال ممارسة العمل الديمقراطي في مدينة طرابلس، تتمثل في مجالس محلية عرفت باسم مجلس الشورى، برز دورها في الحقبة الممتدّة من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، هذه المجالس تشكّلت وفق نظام انتخابي، اسند إليها مهمة إدارة شؤون مدينة طرابلس.

يمثّل مجلس الشورى السلطة التشريعية والتنفيذية في آن واحد، ويتكوّن من أعيان ووجهاء المدينة ويترأسهم شيخ المجلس أو سيّد الشورى الذي يعيّن عن طريق الانتخاب ويكون من بين الشخصيات الدينيّة أو القضائية، وفي حال كان الوالي من أبناء المدينة فيتمّ اختياره لتولي هذا المنصب.

يكمن عمل المجلس في الإشراف على شؤون المدينة الداخليّة، إلا أنه في بعض الأحيان تمتدّ صلاحياته ليصادق على الاتفاقيات الخارجيّة، وتعقد اجتماعاته خارج قصبة الوالي كمسجد المدينة، حتّى يكفل لهم قدرا من الاستقلالية وربما لضمان سريّة النقاشات والقرارات الناجمة عن اجتماعات الأعضاء. وممّا يلاحظ أنّ نشاط المجلس يظهر بوضوح

أثناء فترات الاضطرابات الداخليّة، وفي أحداث حملات الغزو على المدينة.

إنّ بروز دور مجلس الشورى على الساحة السياسيّة لمدينة طرابلس هو حافز إلى مزيد من البحث عن الظروف التي أدّت إلى نشأته، ومعرفة ما إذا تنامى نفوذ الأعيان والعامّة يعدّ ظاهرة خاصّة بالمدينة أم له امتدادات في المناطق المجاورة داخل الولاية.

من هذا المنطلق تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن مدى تجذّر هذا الهيكل السياسي وارتباطه بالموروث الاجتماعي أو العرف القبلي في المنطقة، خاصّة مع وجود أنماط مماثلة له داخل الولاية وفي منطقة الجبل الغربي.

وللاحاطة بجوانب هذا الموضوع يستلزم الإجابة على عدّة تساؤلات منها. كيف تأثّر دور مجلس المدينة سلبا وايجابا في ظلّ تأرجح تبعية طرابلس ما بين القطيعة السياسية والتبعية الإسمية لولاة إفريقية؟ وهل كان للمجلس سند شعبي داخل المدينة وفي المراكز السكّانية المجاورة؟ ثم ما هي آلية تكوين المجلس، وكيف يتمّ اختيار أعضائه، وما هي خلفياتهم الدينية والاجتماعية؟ كيف يتمّ تنظيم عقد الجلسات، واختيار مكان عقد الاجتماعات ودلالاته؟ وما مدى صلاحيات مجلس الشورى، واختصاصاته؟ وكيف تعاملت القوى الغازية لمدينة طرابلس مع مجلس المدينة؟ وهل ظلّت هيكلية المجلس طوال خمسة قرون بنفس التنظيم؟

وتجدر الإشارة إلي وجود صعوبات جمة من ناحية المادّة المصدرية لدراسة حالة مدينة طرابلس خلال هذه الفترة، مع ضرورة ملاحظة أن مايتوفر من معلومات لا يعدو كونه جزء ضئيل دوّن في طيّات المصادر التاريخية على هامش الحديث عن الدول المركزية في إفريقية، والمغرب الأقصى، ومصر، وبالتالي تسعي هذه الدراسة للاقتراب من رسم ملامح الحكم الذاتي في المدينة خلال الفترة المدروسة.

Summary:

The study presents a form of democratic work practice in the city of Tripoli, represented in local councils known as the Shura Council, whose role emerged in the era extending from the fifth century AH / eleventh century AD to the tenth century AH / sixteenth century A.

These councils were formed according to an electoral system and, assigned the task of managing the affairs of the city, the Shura Council represents the legislative and executive authority at the same time, consisting of notables and notables of the city and headed by the Sheikh of the Council or the Master of Shura, who is appointed by election and is among the religious or judicial figures, and if the governor is a native of the city, he is chosen to assume this position.

The emergence of the role of the Shura Council on the political scene of the city of Tripoli prompts us to search more about the circumstances that led to its inception, and to find out whether the growing influence of notables and the public is a phenomenon specific to the city or has extensions in the neighboring areas within the state.

The Council supervises the internal affairs of the city, its powers may extend to ratify external agreements, and its meetings held outside the Ruler's Palace, such as the Mosque of the city, in order to ensure a degree of independence and perhaps to ensure the confidentiality of discussions and decisions resulting from the meetings of members.

It is noticeable that, the activity of the Council evident during periods of internal turmoil, and in the events of the invasion campaigns on the city. Therefore, this work aims to investigate the extent to which this political structure is rooted and linked to the social heritage or tribal custom in the region, especially with similar patterns within the state and in the Western Mountain region.

الكلمات المفاتيح: الديمقراطية، الثورة، الشورى، المجلس، التمثيل.

يعد موضوع تاريخ الدّيمقراطية في طرابلس خلال الفترة الإسلامية، منذ دخول المسلمين للبلاد وحتى بداية الحكم العثماني في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، من الموضوعات الجديدة لدى البعض خاصّة إذا كان هناك اسقاط للمفاهيم المعاصرة للدّيمقراطية على المرحلة قيد الدراسة، خاصة إذا وضع في الاعتبارأنّ إدارة المدينة من قبل سكانها، ونشوء تشكيلات محليّة لحكمها، ومعالجة أزمات الصراع السياسي داخل المدينة مظهرا من مظاهر الحكم الديمقراطي بمعناه ممارسة الشعب للسلطة فإنّ الشواهد التاريخية على ذلك كثيرة جدّا في هذه المرحلة، وهو ما عزّز الثقة في عرض نماذج من الأحداث التاريخية للتأكيد على وجود تنظيمات أهلية في فترة مبكّرة من الوجود الإسلامي في المنطقة.

وبناء على نظرية ابن خلدون التي فسّر بها خروج أهالي بلاد المغرب الإسلامي على الدولة تحت عنوان جانبي (أنّ الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ أنّ تستحكم فيها دولة) والسبب في ذلك كما أورد عائدا إلى «اختلاف الآراء والأهواء، وأنّ وراء كل رأي منها وهوىً عصبية تمانع دونها، فيكثر الانتفاض على الدولة، والخروج عليها في كل وقت، لأنّ كل عصبية ممّن تحت يدها تظنّ في نفسها منعة وقوّة، وانظر ما وقع من ذلك بإفريقية والمغرب منذ أول الإسلام ولهذا العهد»[1]، ويمكن اسقاط هذا التفسير على حالة الاضطراب السياسي داخل طرابلس، ومبعثه رفض أي تمثيل سياسي ينتهج اضطهاد الأهالي، بغض النظر إن كان محليّا أو وافدا، وقد تأخذ حالة الرفض منحى متطرّفا يصل إلى حد دعوة الغرباء، وتوليتهم حكم المدينة للخروج من حالة الصراع على الحكم، وهو ما سيناقش لاحقا.

1 ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ الرسل والملوك، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ص 129.

وحالما ينجح الثائرون في طرد الولاة يعودون إلى تطبيق تقاليد الحكم المحليّة القائمة على مبدأ اختيار الوالي عن طريق التزكية أو الإجماع وهذه العمليّة ا تتكرّر دائما طوال القرون السابقة للعهد العثماني (Lafi 2002)، وممّا هو لافت للنظر ركون القوّات الصليبية التي حكمت المدينة (الصقلي-الإسباني-المالطي) إلى الاعتراف بسلطات المجالس المحليّة في إدارة الشؤون الداخلية.

والجدير بالتنويه هنا، رغم ما توحي به هذه العملية من مظاهر ديمقراطية في اختيار ممثّلي فئات المدينة، إلاّ أنّ هذا النظام ظلّ يعاني من مظاهر الخلل، الذي يرجع إلى هيمنة الأعراف القبليّة والمصالح الشخصيّة، وتوزع ولاءات الأهالي بين الأطراف المتنازعة على حكم المدينة، هذا فضلا عن التأثير القبلي الذي لازال قويّا في مجرى التغييرات السياسية داخل عاصمة الإقليم. وبذلك يمكن تحديد الأطراف المحركة للأحداث خلال هذه المرحلة في: سكان المدينة (الأعيان والعامّة)، وجموع القبائل البدوية القاطنة في الإقليم، والقوى الخارجيّة الساعية للسيطرة على المدينة.

1. المجالس المحليّة

نشأة المجالس المحليّة

عند البحث في بداية نشأة المجالس المحليّة داخل المدينة تشير المعلومات التاريخية إلي أنها تعود إلى عهودٍ ساحقةٍ في القدم، إلى زمن الحكم القرطاجي، فيذكر المؤرخون أنّ القرطاجيين بعد القرن الثالث قبل الميلاد أجروا اصلاحات سياسية في مستعمراتهم، وتركت إدارة المدن الطرابلسية لمجالس محليّة، ولم يتدخّلوا في أساليب معيشتهم، وكان سكّان المدن الثلاث يعقدون اجتماعات سنوية لانتخاب رجلين توكل إليهما مقاليد الإدارة والقضاء، ويعاونهما مجلس مؤلف من أعيان المدينة، هذه المجالس مهامها

تقتصر على تسيير الشؤون الداخلية، وما عدا ذلك كإعداد الجيوش والأساطيل البحرية، وإبرام الاتفاقيات التجارية مع الخارج فهي من اختصاص القرطاجيين وحدهم[2].

شكل رقم (1)
المجلس البلدي في مدينة صبراته الأثرية

وعقب الاحتلال الروماني للبلاد، وبناءً على المعاهدة التي عقدت بين الرومان والفنيقيين سنة 111 ق.م ظلّت هذه المدن حتى زمن القيصر (تيبريوس Tiberius) 14-37م، تنتخب قضاتها وحكامها، وكانت اللغة الفينيقية لغة رسمية إلى جانب اللغة الرومانية، كما كانت لغة التخاطب[3].

المجالس المحليّة في العهد الإسلامي

إن رصد ملامح التطوّر في نظام الحكم داخل مدينة طرابلس خلال العهد الإسلامي، لا يمكن أن ينظر إليها بمعزل عن الأحداث المزامنة لها في باقي

2 البرغوثي (محمود عبد اللطيف)، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، دار صادر، بيروت، 1971، ص. 218 ؛ ديكريه (فرانسوا)، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين أحمد عزو، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م، 79-80.

3 رشدي (راسم)، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، طرابلس، 1953م، ص. 43.

بلدان المغرب الإسلامي، ففي معظم الأحيان ما يجري في إحدى المدن يكون صدى لما وقع في العواصم الإسلامية المجاورة لها. وبعد استكمال الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا خضعت طرابلس لنفوذ الولاة من بني أميّة، وتميّزت تبعيتها السياسيّة والإداريّة للخلافة الإسلاميّة في المشرق، والدول القائمة في إفريقيّة بين مدّ وجزر.

ويعزى جنوح أهالي طرابلس عن حكم الولاة المسلمين، إلى تضرّرهم من سوء إدارة شؤون المدينة، وممّا هو لافت للنظر التنظيم الشعبي للثورات، واتّصالها مع مدّ الثورات التي عمت بلاد المغرب الإسلامي، وأدّت المدينة في هذه المرحلة «دور ارتبط إلى حد كبير بالمعارضة والانتفاض والثورة والميل إلى الاستقلال والشعور بالكيان الخاص، وخوض تجارب الانصهار والتفاعل مع التيّارات السياسيّة والمذهبيّة التي عمّت المنطقة»[4]، وبذلك يمكن القول بأنّ تشكل مجلس الشورى جاء نتيجة للتغيّرات في الظروف الداخلية للمدينة، والفراغ السياسي الناجم عن الاضطرابات داخل الولاية، والتقلبات السياسية التي شهدتها منطقة المغرب الإسلامي.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا يوجد في المصادر الإسلامية إشارة مباشرة عن وجود مجالس الشورى في القرون الثلاث الأولى من الحكم الإسلامي للمدينة، ولعلّ السبب في ذلك أنّ ما ورد عن مدينة طرابلس يأتي مقتضبا، وجاء عرضا في سياق تدوين تاريخ الدول في شمال إفريقيا، إلاّ أنّ ذلك لا يعني اختفاء دور مجالس الأعيان، فيمكن أن نستشف دور الأعيان والمشائخ في الأحداث السياسيّة التي مرّت بها المدينة، فغالبا ما تتردّد عبارة اجتمع أعيان المدينة أو أنّهم اتفقوا على أمر ما، ونستنتج من ذلك حدوث اجتماعات وتبادل للآراء فيما بينهم، فمن ذلك يقول كاتب الدولة الصنهاجية ابن الرقيق القيرواني (ت 420هـ/ 1029م) في حديثه عن الاضطرابات التي وقعت في نواحي جبل نفوسة سنة 131هـ/ 748-749م، أنّ

4 التليسي (بشير رمضان)، تاريخ ليبيا عقب الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس عشر، بحث ضمن كتاب معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008م، ص. 63.

عامل والي إفريقية على طرابلس بشر بن حنش قد خرج صحبة مشائخ المدينة لمفاوضة ثوار جبل نفوسة[5].

أولى الثورات المحليّة التي قامت على الخلافة العباسيّة، هي ثورة أبو الخطّاب المعافري سنة 141هـ/ 758م، التي سيطر فيها على طرابلس والقيروان[6]، ثمّ تلتها ثورة أخرى سنة 151هـ / 768-769م بقيادة أبي حاتم يعقوب بن حميد[7]، ثمّ نظّم الأهالي ثورة في عهد هارون الرشيد بقيادة عياض بن وهب الهواري[8]، وفي سنة 181هـ/ 797-798م، ثار الأهالي على والي الرشيد محمد بن مقاتل العكي تحت قيادة تمام بن تميم التميمي[9]، ثم ركن الرشيد إلى تعيين إبراهيم بن الأغلب في إفريقية سنة 184هـ/ 800م والاكتفاء بالتبعية الأسمية، وضمّت طرابلس لولاية إفريقية[10].

إنّ انضواء طرابلس تحت حكم بني الأغلب جدّد حركات التمرّد بسبب حالة التذمّر والرفض للسياسة المجحفة، إذ لم يرض الأهالي بالولاة المعيّنين من قبل بني الأغلب، وعكست الأحداث في هذه المرحلة على وجود تعبئة شعبية وتنظيم داخلي تقوده شخصيات محليّة.

في هذه الأحداث سنة 186هـ/ 802-803 ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل «كثر شغب أهل طرابلس الغرب على ولاتهم، وكان إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية قد استعمل عليهم عدةَ وُلاة فكانوا يشكون من ولاتهم فيعزلهم ويولّي غيرهم»[11]، وفي سنة 186هـ طالب الأهالي بتنحية الوالي الأغلبي

5 ولي عبد الرحمن بن حبيب بشر بن حنش على طرابلس، وظل عبد الرحمن واليا على إفريقية حتى بعد قتل أخر خلفاء بني أمية وزوال الدولة الأموية، القيرواني (الرقيق)، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م، ص. 75.

6 الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج1، ليبيا، طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، دون-تاريخ، ص. 54.

7 المرجع نفسه، ص. 54.

8 المرجع نفسه، ص. 59.

9 المرجع نفسه، ص. 60.

10 المرجع نفسه، ص. 60.

11 ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفدأ عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص. 5/339.

سفيان بن المضاء وإعادته إلى القيروان، وكانت هذه الثورة قويّة، إذ جعلت الوالي إلى يحتمي داخل المسجد الجامع، وبعد قتل أتباعه ومناصريه مُنِح الأمان وعاد إلى إفريقية، وعيّن الثوّار واليا يدعى إبراهيم بن سفيان التميمي، ولم تهدأ هذه الاضطرابات إلاّ بعد اضطرار الوالي الأغلبي إلى الاعتراف بحكم الوالي المعيّن من قبل الثوّار[12].

في بدايات القرن الرابع، وبعيد خضوع مدينة طرابلس لسيطرة العبيديين، عيّن عبيد الله المهدي ماكنون بن ضبارة اللحياني الكتامي واليا عليها، غير أنّه سرعان ما تمّ حشد المعارضين لحكم الوالي الجديد، فثارت قبيلة هوارة واتّسع نطاق المعارضة خارج أسوار المدينة إلى المناطق المجاورة، وانظمت إلى الثورة قبائل من زناتة والماية بقيادة أبي الهارون الهواري، فحاصروا المدينة وبقي الوالي تحت الحصار حتى قدوم نجدة أرسلت له من إفريقيّة بقيادة ابن أخ ماكنون [13].

غير أنّ ضعف ماكنون في تسيير البلد وتجرأ أنصاره من كتامة على الأهالي دفع بهم إلى الثورة سنة 300هـ / 912-913م وخرج ماكنون من طرابلس ملتجئا إلى عبد الله بن المهدي في عاصمته مدينة رقادة. وتقول الروايات أنّ الأهالي قتلوا أنصار ماكنون وأغلقوا أسوار مدينتهم معلنين العصيان، ممّا دفع بالمهدي إلى الهجوم عليها من البحر، وبعد فشل حملته البحرية أرسل عبد الله المهدي جيشا ضخما بقيادة ابنه أبي القاسم، وبعد حصار خانق نفذت فيه الأقوات والمؤونة تمكّن من دخول المدينة سنة 303هـ / 915-916م[14].

وهنا يظهر دور أعيان المدينة، إذ أقروا تسليم المدينة صلحا بعد عجزهم عن فكّ الحصار، وعقدت اتّفاقية بين الطرفين كان من بنودها تسليم زعماء الثورة ومنهم: محمد ابن إسحاق، ومحمد بن نصر، والحوحة[15]،

12 المصدر نفسه، ص. 5/339.

13 الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، المنهل ...، مرجع مذكور، ص. 85.

14 المرجع نفسه، ص. 88.

15 أمعن المهدي في عقابهم، فقد نقلهم معه إلى إفريقية، وطاف بهم في أحياء رقادة على ظهور الجمال ثم قتلهم، للمزيد انظر عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ الرسل والملوك، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، 6/ 220

والتعهّد بدفع غرامة مالية قدرها ثلاثمائة ألف دينار على أن يتولّى تجميعها أحد أبناء جند المدينة، يدعى الخليل بن أسحاق[16]. ومن خلال هذه الحادثة يتضح جليا الانقسام الذي وقع بين أهالي المدينة بسبب حملة العبيديين، وكيف أدار الأعيان أحداث هذه الأزمة.

ثمّ قامت سنة 407هـ / 1016-1017م ثورة شعبية على حكم العبيديين، فبعد ثلاث سنوات من حكم الوالي وَروا بن سعيد (400- 406 هـ / 1009- 1015م) قاد الفقيه أبو الحسن بن المنمر[17] ثورة الأهالي على حكم العبيديين[18]، وقطع شعائر المذهب الشيعي من المدينة، وردّ ما طمس من معالم المذهب السنّي[19].

الأحداث التي صاحبت ثورة أهالي المدينة على الدولة العبيدية أظهرت نوعا من الترتيب والتنظيم الشعبي لتغيير مظاهر دينيّة وسياسيّة فرضت على الأهالي، وتوجت هذه الانتفاضة بتعيين شخصيّات محليّة لتولي المدينة تمثّلت في أسرة بني خزرون.

وظلّ دور مجلس الشورى فاعلا في أحداث الصراع الذي دبّ بين أفراد الأسرة الحاكمة ففي سنة 446 هـ / 1054-1055 قُتل والي طرابلس سعيد بن خزرون بن سعيد وقُدّم إلى ولايتها خزرون بن خليفة بن وروارا، وهنا يشير الأنصاري أنّ الذي مكّن الوالي الجديد من تولي الحكم هو رئيس الشورى، وذكر أيضا أنّ بالمدينة عدد من الفقهاء منهم أبو الحسن بن المنتصر صاحب الفرائض[20]. إذا توليته جاءت بناء على انتخاب من مجلس المدينة «مجلس الشورى» وهم كذلك من عزله عندما أساء السيرة وأدخلوا شاه ملك المدينة ونصبوه حاكما على المدينة[21].

16 ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ الرسل والملوك، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ص. 6/ 221.

17 هو علي بن محمد بن المنتصر بن المنمر الطرابلسي توفى سنة 432هـ وصفه التجاني بالشهير بفضله وعلمه ورياسته، الرحلة، ص 266. ووصفه الانصاري في نفحات النسرين والريحان مظهر السنة وقاطع البدعة في طرابلس الغرب، ص. 82.

18 توفي سنة 432هـ، يمكن العودة إلى التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا -، تونس، 1981م، ص. 265.

19 المصدر نفسه، ص. 266-265.

20 الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، المنهل ...، مرجع مذكور، ص. 114.

21 المرجع نفسه، ص. 488.

وهو ما وصفه شارل فيرو بقوله: «الطرابلسيون الذين كانوا يتطلعون منذ مدّة طويلة إلى الانعتاق من ظلم مثل هؤلاء الحكام قد أعلنوا استقلالهم الذاتي وحولوا ولايتهم إلى دولة مستقلة وقرّروا أن تختار كل قبلية لها زعيما بمحض إرادتها وأن يتنازل كل زعيم بعد ذلك عن منصبه لمن يكون قد تحصّل على أكبر عدد من أصوات القبائل الأخرى»[22].

ثم يطغى على تاريخ المدينة أحداث الصراع بين الأسر المهيمنة على مجلس المدينة (أسرتي بني خزرون وبني مطروح)، وبسبب عدم اتّفاق أعضاء المجلس على طريقة انتخاب رئيس المجلس- كما ذكر شارك فيرو في الحوليات الليبية - وقعت المدينة في صراع داخلي مسلّح، فلجأ الأهالي إلى اختيار شخصية غريبة عن المدينة ممثّلة في شيخ من قبيلة لمتونة المغربية كان مارّا في طريقه إلى الحج ليتولى منصب الولاية[23].

إنّ أحداث الاضطرابات المتتالية وما نجم عنها من اهمال التحصينات شجّعت القوى الأوروبية على غزو المدينة، ففي عام 537هـ / 1142 - 1143م حاول روجار السيطرة على طرابلس مستغلاّ رفض الأهالي حكم والي إفريقية الحسن بن علي[24]، وقطعوا أسباب الطاعة ومنعوا المغارم والجباية[25]، «وكانوا قد قدّموا عليهم مشائخ من بني مطروح يدبّرون أمورهم ورفضوا دعوة الحسن وقومه[26]»، وهنا يظهر بوضوح أنّ ولاية ابن مطروح كانت بترشيح من الأهالي.

22 فيرو (شارل)، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ط1، ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، 1983، ص. 54.

23 ابن غلبون ، التذكار، ص. 88.

24 هو الحسن بن علي بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي حاكم أفريقية، أحمد بن محمد ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب،ج 1، تحقيق بشار عواد معروف، محمود بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، 1434هـ / 2013م، ص 341.

25 الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، المنهل ...، مرجع مذكور، ص. 121.

26 ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي)، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349هـ. ص. 87.

والتعهّد بدفع غرامة مالية قدرها ثلاثمائة ألف دينار على أن يتولّى تجميعها أحد أبناء جند المدينة، يدعى الخليل بن أسحاق[16]. ومن خلال هذه الحادثة يتضح جليا الانقسام الذي وقع بين أهالي المدينة بسبب حملة العبيديين، وكيف أدار الأعيان أحداث هذه الأزمة.

ثمّ قامت سنة 407هـ / 1016-1017م ثورة شعبية على حكم العبيديين، فبعد ثلاث سنوات من حكم الوالي وَرّوا بن سعيد (400- 406 هـ / 1009- 1015م) قاد الفقيه أبو الحسن بن المنمر[17] ثورة الأهالي على حكم العبيديين[18]، وقطع شعائر المذهب الشيعي من المدينة، وردّ ما طمس من معالم المذهب السنّي[19].

الأحداث التي صاحبت ثورة أهالي المدينة على الدولة العبيدية أظهرت نوعا من الترتيب والتنظيم الشعبي لتغيير مظاهر دينيّة وسياسيّة فرضت على الأهالي، وتوجت هذه الانتفاضة بتعيين شخصيّات محليّة لتولي المدينة تمثّلت في أسرة بني خزرون.

وظلّ دور مجلس الشورى فاعلا في أحداث الصراع الذي دبّ بين أفراد الأسرة الحاكمة ففي سنة 446 هـ / 1054-1055 قُتل والي طرابلس سعيد بن خزرون بن سعيد وقُدّم إلى ولايتها خزرون بن خليفة بن وورا، وهنا يشير الأنصاري أنّ الذي مكّن الوالي الجديد من تولي الحكم هو رئيس الشورى، وذكر أيضا أنّ بالمدينة عدد من الفقهاء منهم أبو الحسن بن المنتصر صاحب الفرائض[20]. إذا توليته جاءت بناء على انتخاب من مجلس المدينة «مجلس الشورى» وهم كذلك من عزله عندما أساء السيرة وأدخلوا شاه ملك المدينة ونصبوه حاكما على المدينة[21].

16 ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ الرسل والملوك، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ص. 6/ 221.

17 هو علي بن محمد بن المنتصر بن المنمر الطرابلسي توفى سنة 432هـ وصفه التجاني بالشهير بفضله وعلمه ورياسته، الرحلة، ص 266. ووصفه الانصاري في نفحات النسرين والريحان مظهر السنة وقاطع البدعة في طرابلس الغرب، ص. 82.

18 توفي سنة 432هـ، يمكن العودة إلى التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا -، تونس، 1981م، ص. 265.

19 المصدر نفسه، ص. 266-265.

20 الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، المنهل ...، مرجع مذكور، ص. 114.

21 المرجع نفسه، ص. 488.

وهو ما وصفه شارل فيرو بقوله: «الطرابلسيون الذين كانوا يتطلعون منذ مدّة طويلة إلى الانعتاق من ظلم مثل هؤلاء الحكام قد أعلنوا استقلالهم الذاتي وحولوا ولايتهم إلى دولة مستقلة وقرّروا أن تختار كل قبلية لها زعيما بمحض إرادتها وأن يتنازل كل زعيم بعد ذلك عن منصبه لمن يكون قد تحصّل على أكبر عدد من أصوات القبائل الأخرى»[22].

ثم يطغى على تاريخ المدينة أحداث الصراع بين الأسر المهيمنة على مجلس المدينة (أسرتي بني خزرون وبني مطروح)، وبسبب عدم اتّفاق أعضاء المجلس على طريقة انتخاب رئيس المجلس- كما ذكر شارك فيرو في الحوليات الليبية - وقعت المدينة في صراع داخلي مسلّح، فلجأ الأهالي إلى اختيار شخصية غريبة عن المدينة ممثّلة في شيخ من قبيلة لمتونة المغربية كان مارّا في طريقه إلى الحج ليتولى منصب الولاية[23].

إنّ أحداث الاضطرابات المتتالية وما نجم عنها من اهمال التحصينات شجّعت القوى الأوروبية على غزو المدينة، ففي عام 537هـ / 1142 - 1143م حاول روجار السيطرة على طرابلس مستغلاّ رفض الأهالي حكم والي إفريقية الحسن بن علي[24]، وقطعوا أسباب الطاعة ومنعوا المغارم والجباية[25]، «وكانوا قد قدّموا عليهم مشائخ من بني مطروح يدبّرون أمورهم ورفضوا دعوة الحسن وقومه[26]»، وهنا يظهر بوضوح أنّ ولاية ابن مطروح كانت بترشيح من الأهالي.

22 فيرو (شارل)، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ط1، ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، 1983، ص. 54.

23 ابن غلبون ، التذكار، ص. 88.

24 هو الحسن بن علي بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي حاكم أفريقية، أحمد بن محمد ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب،ج 1، تحقيق بشار عواد معروف، محمود بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، 1434هـ / 2013م، ص 341.

25 الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، المنهل ...، مرجع مذكور، ص. 121.

26 ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي)، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349هـ. ص. 87.

وقد انتهت هذه الأحداث الدامية بتولّي أسرة بني مطروح سنة 540هـ/ 1145م، وواصل مجلس الشيوخ -الذي عرف في هذه المرحلة بمجلس العشرة تأدية مهامه تحت رئاسة قاضي المدينة وفق اتفاقية صلح عقدت مع الصقليين.

وبعد أربع سنوات وقع خلاف بين الأهالي على طريقة اختيار الوالي، فأعاد روجار محاولة غزو المدينة سنة 541هـ / 1146م لأن الأهالي» اختلفوا فأخرجت طائفة منهم بني مطروح، وقدّموا عليهم رجلا من الملثّمين لم تذكر المصادر اسمه كان مارا بطرابلس مع جماعة من قومه للحجّ، فولّوه أمرهم وعند وصول الافرنج أعادت طائفة أخرى بني مطروح فوقع الحرب بين الطائفتين[27]، ممّا أفسح المجال أمام القوّات الصقلية الغازية، فتمكّنت من احتلال المدينة غير أنّ اللافت للنظر أنّ روجار عقب سيطرته على المدينة ترك إدارة شؤونها الداخلية إلى قاضيها يوسف بن زيري الملقّب بأبي الحجاج[28].

في سنة 553هـ/1158م، وبعد مرور أثني عشر عاما على حكم الصقليين لطرابلس نظّم رئيس مجلس المدينة انتفاضة شعبية نجم عنها قتل الحامية الصقلية في المدينة، وإعلان الولاء للخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وفي السنة التالية أرسلوا وفدا لتمثيل المدينة، ومبايعة السلطان الموحّدي.

بيد أنّ الأوضاع الداخلية لم تستقر وسأم الأهالي من محاولات المغامرين للسيطرة على المدينة فاتّفقوا في سنة 639هـ /1241م على احباط محاولة تمرّد (الفاطمي) يعقوب بن أبي يعقوب الهرغي على السلطان الحفصي، فقتل وصلب هو وأعوانه على باب هوارة.

وفي مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي دخلت الدولة الحفصية في حالة من الضعف والانكماش فانعكس ذلك على الحالة

27 المصدر نفسه، ص. 88

28 هو أبو الحاج يوسف بن زيري الطرابلسي القاضي وهو صاحب التأليف المعروف بالكافي في الوثائق، انظر الأنصاري (أحمد بن الحسين)، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص. 30.

الداخلية للمدينة، ووصفها ابن خلدون بقوله: «فصارت سياسة طرابلس إلى الشورى، ولم يزل العامل من الموحدين يجيء إليها من الحضرة إلاّ رئيسها من أهلها مستبد عليها وحدثت العصبية في البلد لحدوث الشورى والمنافسة فيها»[29]. وهو ما يؤيده التجاني بقوله: «وجميع الخواص في هذه البلدة مقهورون تحت أحكام العوام منهم لبعد بلدهم ع الحضرة، وانقطاعهم عن الأوامر»[30] والشواهد على وصف ابن خلدون كثيرة منها ما حدث سنة 724هـ/ 1342م من طرد ممثّل الدولة الحفصية ابن أبي عمران، ثم قيام الأهالي بتعيين أحدى الزعامات المحليّة ممثّلة في ثابت بن محمد بن ثابت بن عمار لولاية طرابلس، وتفيدنا المعلومات بأنّه قد استقلّ بالبلاد وجعل له مجلسا استشاريا يرأسه بنفسه لتسيير شؤون البلاد.

مع بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ضعف حكم أسرة بني ثابت بسبب النزاع بين أفرادها على منصب الوالي، وانقسم الأهالي ما بين الاطراف المتصارعة، فاستغلّ الحاكم الحفصي أبو فارس هذه الظروف لإعادة السيطرة عليها، واتّفق الأهالي على فتح أبواب الحصن لفك الحصار والقبض على أسرة بني ثابت وبذلك انتهى حكمهما سنة 803هـ/ 1400م.

ظلّت مدينة طرابلس تعاني من صراع الأسر المتنفذة في المدينة حتى ظهرت شخصيّة محليّة توافق عليها الجميع وهي شخصيّة سيدي منصور الذي اجمع الأعيان على توليته في جلسة عامّة عقدت في الجامع الكبير سنة 865هـ/ 1460م، وبعده في سنة 877هـ/ 1472م ثمّ اختيار الشيخ يوسف وفق نظام الترشيح والانتخاب لولاية المدينة، والشيخ مامي 885هـ/ 1480م، ثم الشيخ عبد الله بن شرف 898هـ/ 1492م، الذي حدثت في عهده الحملة الإسبانية على مدينة طرابلس سنة 910هـ/ 1510م. وبعد هذا التاريخ تدخل

29 ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ...، مصدر مذكور، ص. 6/614.

30 التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة ...، مصدر مذكور، ص. 258.

المدينة حقبة جديدة يسود فيها حكم العنصر الأجنبي، وتأخذ صفة شيخ المجلس مظاهر مختلفة تبلورت في وظيفة شيخ البلد.

2. مجلس الشورى

انتخاب أعضاء مجلس الشورى

لم تفرد المصادر الإسلامية معلومات وافية عن كيفية إجراء عملية انتخاب أعضاء المجلس، وما وجد مبعثرا بين ثنايا المصادر يتّصل بكيفية انتخاب والي المدينة.

وفقا للمعلومات المتوفرة في المصادر التاريخية عن مرحلة حكم الأسر الطرابلسية أنّ رئيس الشورى هو من يتولّى المدينة، وهو ما يستنتج من نص فيروه في حديثه عن أحداث تولّي أسرة بني مطروح الحكم، إذ قال: «فإنّ الطرابلسيين الذين كانوا يتطلّعون منذ مدّة طويلة للانعتاق من ظلم مثل هؤلاء الحكام قد أعلنوا استقلالهم الذاتي، وحولوا ولايتهم إلى دولة مستقلّة، وقرّروا أن تختار كل قبيلة زعيما بمحض إرادتها، وأن يتنازل كل زعيم بعد ذلك عن منصبه الرئاسي لمن يكون قد تحصل على أكبر عدد من أصوات القبائل الأخرى»[31].

وتتكرّر هذه الإشارات في أحداث غزو الصقليين لطرابلس سنة 541هـ/ 1148م، فبعد دخولهم إلى المدينة قبض قائد الحملة جورج ميخائيل على أعيان المدينة، وبعد حالة الرفض الشعبي للاحتلال ركن إلى اتّباع اللّين في التعامل مع غضب الأهالي، ولهذا «استعمل كل ما لديه من أساليب ذكية في محاولة لاستمالتهم، وتمكّن بفضل معاملته العادلة للأهالي من أن يكسب ثقتهم، فرفض بوازع من روح العدل والمصالحة أن يتدخّل في اختصاصات الوالي والقاضي، بل وصرّح أنّه مستعد لأن يتقبّل بارتياح ويصادق إذ ما

31 فيرو (شارل)، الحوليات...، مرجع مذكور، ص. 54.

اقتضت الحاجة على تعيين الأشخاص الذين يختارهم الطرابلسيون لشغل وظيفتي القضاء والولاية، فتمّ في هذا الجو انتخاب أبي يحي بن مطروح التميمي واليا على طرابلس، وأبي الحجاج يوسف بن زيري قاضيا لها، وبعد ذلك أطلق سراح الأعيان المحتجزين كرهائن»[32].

في سنة 865 هجري / 1460م وقعت في المدينة أحداث الفتنة ، بين أسرة مامي الشريف وأسرة مصطفى بن أحمد، تدخّل الشيخ منصور أحد أعيان المدينة لفضّ الخلاف، ثم اجتمعت الأطراف المتصارعة للصلح في الجامع الكبير، ورشّح فيه إمام الجامع الشيخ منصور لتولّي المدينة لعدّة أسباب أهمّها توافق الجميع على أهليته لهذا المنصب «وهنا وافق الحضور ووفدت عليه قبائل غريان، وبني وليد، وترهونة، ومصراته، ومسلاته لمبايعة الشيخ منصور» وأمام التحرّك الشعبي رضخ والي إفريقيّة لمطالب الأهالي وعقدت اتّفاقية بين الطرفين سنة 863 هجري / 1463م[33].

من خلال هذه النصوص يمكن القول أنّ عمليّة الانتخاب كانت تتمّ في اجتماع يضمّ رؤساء الأعيان ممثّلين لقبائلهم داخل المدينة، ويكون ذلك بترشيح إحدى الشخصيات لتولّي منصب الوالي.

ومن جانب أخر يمكن ملاحظة أنه خلال هذه الفترة ذلك الدور الفاعل للقضاة في الأحداث السياسية داخل المدينة، ممّا يؤكد الاعتقاد على وجود تداخل في السلطات السياسية والقضائية، أو بمعنى آخر لم يصل النظام السياسي إلى عملية الفصل بين السلطات في هذه المرحلة، فالقاضي له دور أساسي في المفاوضات الخارجية، واختيار الولاة، هذا فضلا عن مهمّته الأولى وهي فضّ النزاعات بين الأهالي، فصلاحياته تتداخل مع مهام الوالي، بل يتفوّق على الأخير لأنّه غالبا ما يحظى برضا وتأييد العامّة والأعيان، وبطبيعة الحال إنّ من يتولّى منصب القضاء يجب أن يكون من أبرز فقهاء المدينة وأكثرهم علما بأصول الشريعة الإسلامية.

32 المرجع نفسه، ص. 55.

33 المرجع نفسه، ص. 59.

من خلال بعض الأحداث التاريخية يتضح أنّ قاضي المدينة هو من يتولّى منصب شيخ مجلس الشورى، كما حدث في سنة 450هـ / 1058 - 1059م عندما قاد القاضي ابن المنمر ثورة الأعيان ضدّ ممثّل العبيديين، وكذلك الحال في أحداث الحملة الإسبانية على طرابلس، فكان قاضي المدينة وقتئذ عبد العزيز محمد الطرابلسي بن بقاء الأنصاري، الذي اتّخذ من مسجده الذي بناه عند السور الغربي لمدينة طرابلس مركز للدعوة للجهاد[34]. ولعلّ هذا ما يفسر استدعاء قضاة طرابلس من قبل السلاطين الحفصيين أو العبيدين في مصر، وتوليتهم منصب قضاء مدينة تونس أو القاهرة، كما حدث مثلا مع القاضي مالك بن سعيد بن مالك القرافي الذي ولي قضاء مصر عام 398هـ/1007 - 1008م[35]، والقاضي أبي موسى عمران بن موسى بن معمر، فبعد توليه مهمة قضاء المدينة لفترة تقارب الثلاثين عاما، استدعاه السلطان الحفصي سنة 758هـ/ 1357 - 1358م وعيّنه قاضيا لمدينة تونس، وبقي فيها حتى وفاته سنة 760هـ/ 1359 - 1360م[36].

اجتماعات مجلس الشورى

إن المصادر التاريخية لا توفر معلومات تفيد بتخصيص مبنى لعقد اجتماعات المجلس كما كان الحال في العصور السابقة للعهد الإسلامي، ففي العهدين القرطاجي والروماني انتشرت في المدن الثلاث ما يعرف بمجلس البلدية، ولازالت الشواهد الأثرية قائمة إلى يومنا هذا[37].

34 الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي،ط3، 2004، ص 231-232.
35 توفي سنة 445هـ/1058م، عندما ضرب الخليفة الفاطمي الحاكم لأمر الله عنقه بعد رفضه كتابة عبارات سب لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم على أبواب المساجد في القاهرة، الطاهر أحمد الزاوي، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيادق، عمان- بيروت، 1999، ص. 89.
36 ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ص 196.
37 راجع ص. 58 رقم 4، صورة رقم (1)، وهي تعود لمجلس البلدية في مدينة صبراته.

ويبدوا أنّ ما ميّز الفترة الإسلامية هو عقد الاجتماعات في الجامع الأعظم، أو الجامع الكبير[38]، أو جامع العشرة كما أورد التجاني[39] عندما أقام بالمدينة أثناء رحلته للحج بين سنتي 706-708هـ/ 1306-1308م[40]. وكانت عقد الاجتماعات هي الوظيفة التي كان يشغلها المسجد الجامع بالمدن الإسلامية، إذ أنّ مدلول تسمية الجامع تشير بوضوح إلى جمع كافة الأنشطة الدينية والتعليميّة والاجتماعية الخاصّة بساكني المدينة، وقد مثّل معقلا للمقاومة كما وقع في أحداث الحملة الإسبانية على طرابلس، فالرحّالة مارمول الذي زار طرابلس في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ذكر أنّه «أكبر مقاومة وجدها الإسبان كانت في الجامع الكبير الذي قتل فيه ألفا عربي بين رجال ونساء وأطفال»[41]

وقد قدم معلومات غاية في الأهميّة عن اجتماعات مجلس الأعيان لا نجدها في باقي رحلات الحجّ المغربية التي مرّت بالمدينة، فقد أسهب في حديثه عن المدينة والإقليم، إذ قال عند وصفه لمعمار مدينة طرابلس «وفي الخارج منها- القصبة أو مركز الوالي- المسجد المعروف في القديم بمسجد العشرة، لأنّ عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة وتدبير شؤون البلد، وذلك قبل تملّك الموحّدون لها فلمّا تملّكوها ارتفع ذلك الرسم وزال عن المسجد ذلك الاسم»[42]. والمرحلة التي يشير إليها التجاني ربّما تعود لفترة الاحتلال الصقلي للمدينة سنة 541هـ / 1146 - 1147م، التي تركت إدارة شؤون المدينة للوالي والقاضي.

38 مارمول كربخال، أفريقيا، ترجمة محمد حجي وأخرين، الرباط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1988 - 1989، ص. 38.
39 التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة ....، مصدر مذكور، ص. 237. وذكر أن « بين القصبة والمدرسة المذكورة أعلاه جامع طرابلس الأعظم الذي بناه بنو عبيد، وهو جامع فسيح وقائم على أعمدة طويلة وقد حدد سقفه حديثا وله مئذنة كبيرة قائمة من الأرض على أعمدة مستديرة... لقد تم بناؤها على يد خالد بن أسحاق في العام المكمل للقرن الثالث للهجرة» اختلفت الروايات التاريخية في سبب تسميته بهذا لاسم، غير أن أقربها هو نسبة بنائه إلى عبيد الله المهدي أذ تشير الروايات إلى أنه عندما مر بالمدينة في رحلته من تونس إلى القاهرة، أمر بحل حمولة إحدى نياقه وصرف ما كانت تحمله من أموال على تجديد جامع المدينة، للمزيد عن تاريخ بناء الجامع وطرازه المعماري انظر ميسانا ، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب محمد الصادق حسنين، (د ت) ، ص، 156.
40 التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة ....، مصدر مذكور، ص. 253.
41 مارمول كربخال، أفريقيا ....، مرجع مذكور، ص. 28.
42 مارمول كربخال، أفريقيا ....، مرجع مذكور، ص. 28.
حلة ....، مصدر مذكور، ص. 237.

صلاحيات مجلس الشورى

كما سبقت الإشارة فإنّ صلاحيات مجلس الشورى تتعلّق بمعالجة الأزمات التي تمرّ بها المدينة، كاختيار الولاة، والتنظيم للثورات الشعبية، وقيادة حركة مقاومة الأهالي للغزو الخارجي على المدينة، والجدير بالتنويه هنا أنّ تشكّل المجالس المحليّة، كان عرفا سائدا في أغلب المناطق المتاخمة للمدينة في الفترة الإسلامية، فلم تكن سلطات المدينة لتمدّد خارج أسوارها إلاّ في فترات محدودة، أمّا بقية المناطق فكانت تُحكم من قبل سكّانها حكما محليّا يسيطر عليه شيخ أو شيوخ القبائل المتحالفة، ويعاونهم في ذلك أعيان القوم ووجهائهم، وهذه التّكتلات الاجتماعية هي من تقوم بحفظ الأمن العام والتوازن بين القوى المحليّة.[43] ففي مسلاته ذكر الوزان» يعيش أهله في حريّة ويختارون رئيسا من أنفسهم يقوم مقام الأمير ويدبّر شؤون السلم والحرب مع الأعراب»[44].

ولكن في المقابل إن تأثير هذه التّكتلات القبلية عميقا داخل مدينة طرابلس ولعبت دورا أساسيا في أحداث الصراع على الحكم سواء أكان سلميا أو حربيا، ويوجد كذلك ما يمكن تسميته بالتنسيق المشترك فيما بينها وبين سلطات المدينة، فعقب احتلال الإسبان لطرابلس سنة 916هـ/ 1510م وأسر شيخها عبد الله بن شرف هاجر سكّان المدينة إلى المناطق المجاورة نحو تاجوراء وغريان ومسلاته، بغرض تنظيم حركة المقاومة[45]، ولم تُجدِ كافة المحاولات التي بذلها الحاكم الإسباني لإعادة الأهالي إلى المدينة[46]، وتبعا لذلك واجهت الجالية الإسبانية أزمة مالية كبيرة فنظام الجباية «لم يكن

43 روسي (إتوري) ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت، دار الثقافة، 1974.

44 الوزان (الحسن بن محمد) المعروف ب ليون الأفريقي، وصف افريقيا، ج-1ج 2، ترجمه عن الفرنسية د. محمد حجي و د. محمد الأخضر، الرباط، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1980، ص. 1/ 499.

45 الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، المنهل ....، مرجع مذكور، ص. 197 – 198. للمزيد انظر (بازامة) محمد مصطفى، ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان (1510 – 1530)، دار الفرجاني، طرابلس، 1965م، ص. 55.

46 للمزيد انظر: روسي (أتوري) ، طرابلس تحت حكم الإسبان وقرسان مالطا، ص 38 – 39 .عمر الباروني، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، ص. 71 + بازامة (محمد مصطفى)، ليبيا ....، مرجع مذكور، ص. 109-110.

عاما على جميع البلاد الطرابلسية، فالمشائخ في الجبل والجفارة وبني وليد ومصراته مستقلّون بجهاتهم تمام الاستقلال لا يؤدّون للدولة المركزية ما وجب عليهم من خراج»[47].

واستخلاصا ممّا سبق يمكن القول: أنّه بالنظر إلى المعطيات الجغرافية إن بُعد موقع مدينة طرابلس عن مركز ولاية إفريقية قد ساهم في تمتّعها بقدرٍ من الاستقلال، كما أنّ التجمّعات القبلية المحيطة بها مثّلت رافدًا مهمّا لتزويدهم بالمقاتلين لمواجهة محاولات ولاّة إفريقية المتكرّرة للسيطرة على طرابلس، ولذلك كثيرا ما نرى ثورة الأهالي على الولاّة في حال ساءت سياستهم وإن دفعهم ذلك إلى تعيين ولاة من المغامرين أو الغرباء المارين بالمدينة.

ومن ناحية أخرى يجب عدم إغفال الإرث السياسي الذي وفدت به القبائل المستقرّة في مدينة طرابلس، فالأخذ برأي العقلاء وأصحاب الرأي كان النمط السائد في العرف القبلي عند اتّخاذ القرارات الحاسمة فالإجماع على رأي ما شرط أساسي لقبول باقي أفراد القبيلة به. وهذا ما يتّضح عند تدخّل القبائل البدوية في الأحداث الجارية داخل المدينة خلال هذه المرحلة. وممّا يمكن التأكيد عليه هو أن قوّة تأثير هذه المجالس في إدارة شؤون المدينة جعل القوى الغازية تعترف بدورها، وبعد مجيء العثمانيين إلى طرابلس تبلور هذا الدور في وظيفة حكومية عرفت بشيخ البلد، وهي من تقوم مقام البلدية وكان من بين مهامها أن تتولّى بصورة مباشرة الإشراف على شؤون المدينة وما يتّصل بها من مرافق[48]، حتى برز نظام البلديات عام 1870م.

47 الباروني (عمر محمد)، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، طرابلس، مطبعة ماجي، 1952 ص. 14.

48 الكيب (نجم الدين غالب)، مدينة طرابلس عبر التاريخ، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1978، ص. 107.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1-ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط3، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، 1967.

2-ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفدأ عبد الله القاضي، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م،

3-ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ الرسل والملوك، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م.

4-ابن الشماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم د. الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984.

5-ابن عذاري (أحمد بن محمد) ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف، محمود بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، 1434هـ / 1013م.

6-ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي)، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349هـ.

7- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا -، تونس، 1981م.

8-الحشائشي (محمد بن عثمان)، رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895 (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، تقديم وتعليق علي مصطفى المصراتي، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، 1965.

9-الزركشي (أبو عبد الله محمد بن أبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط2، تحقيق وتعليق محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، 1966.

10-القيرواني (الرقيق)، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م.

11-الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج1، ليبيا، طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، دون تاريخ.

12-الأنصاري (أحمد بن حسين النائب)، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م.

13-الوزان (الحسن بن محمد) المعروف ب ليون الأفريقي، وصف افريقيا، ج1-ج 2، ترجمه عن الفرنسية د. محمد حجي و د. محمد الأخضر، الرباط، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1980.

14-مارمول كربخال، أفريقيا، ترجمة محمد حجي وأخرين، الرباط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1988-1989.

المراجع العربية والمعربة

1- التليسي (خليفة محمد)، حكاية مدينة، مالطا، الدار العربية للكتاب، 1974.

2- التليسي (بشير رمضان)، «تاريخ ليبيا عقب الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس عشر»، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008م.

3- الزاوي (الطاهر أحمد)، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط3، ليبيا، دار الفتح، دار التراث العربي، 1972.

4- الزاوي (الطاهر أحمد)، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيادق، عمان- بيروت، 1999.

5- الزاوي (الطاهر أحمد)، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط3، 2004.

6- الأسمر (عبد السلام بن عثمان بن عزّ الدين بن عبد الوهاب بن عبد السلام)، الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، نقله روفائيل رابكس، مطبعة الولاية، طرابلس الغرب، 1921م.

7- البارونى (عمر محمد)، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، طرابلس، مطبعة ماجي، 1952.

8- البرغوثي (عبداللطيف محمود) ، تاريخ ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، دار صادر،1393هـ.

9- البرغوثي (عبد اللطيف محمود)، التاريخ الليبي القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي1، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، دار صادر، 1971.

10- بازامة محمد مصطفى، ليبيا في عشرين سنة من حكم الأسبان (1510-1530)، طرابلس - ليبيا، مكتبة الفرجاني، 1965م.

11- برنيا، (كوستانزيو) ، طرابلس (1510-1850)، ط1، تعريب خليفة محمد التليسي، مصراته، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، 1985.

12- ديكريه (فرانسوا)، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين أحمد عزو، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م.

13-رايت (جون)، تاريخ ليبيا منذ اقدم العصور، ط1، تعريب عبد الحفيظ الميار واحمد اليازوري، طرابلس- ليبيا، دار الفرجاني، 1972.

14- رشدي (راسم)، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، طرابلس، 1953م.

15-روسي (إتوري)، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت، دار الثقافة، 1974.

16-عباس (أحسان) ، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1967.

17- فيرو (شارل)، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ط1، ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، 1983.

18- الكيب (نجم الدين غالب)، مدينة طرابلس عبر التاريخ، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978.

19- ميسانا (غاسيري)، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب محمد الصادق حسنين، (د.ت).

20-Lafi (Nora), Une ville du Maghreb entre ancien régime et réformes ottomanes: genèse des institutions municipales Tripoli 1795-1911, Paris, l'harmattan, 2002, 395p.

تأملات المستشرق الألماني مالتسان في السلطة والدّين والقبيلة في ليبيا سنة 1869

د. رضوان ضاوي
الرباط المغرب

الملخص

قام العارف والمطلع على أحوال منطقة المغارب هاينريش فون مالتسان، برحلة إلى ليبيا دامت أربعة أشهر وانتهت في 10 أكتوبر 1869 توجت بنشره لكتاب حولها بعنوان: في رحاب طرابلس وتونس مع الرحالة الألماني البارون هاينريش فون مالتسان عام 1869.

في هذه الرحلة ركز مالتسان على العاصمة طرابلس والمناطق المتاخمة لتونس، حيث وفّر لنا المزيد من المعلومات حول قضايا بعينها مثل وجهة نظره في الإصلاحات، وازدواج السلطة الحاكمة مع النسب والقبيلة والسلطة الدينية، وعلاقة الأتراك الذين استولوا على الوظائف الكبرى في الدولة مع أبناء الريف والقبائل الذين كانوا يديرون شؤونهم الداخلية بأنفسهم، في تبعية شكلية للسلطة المركزية، واستقلال عملي عنها. فقد كانت الحكومة قاصرة عن القبائل العربية الكبرى، وكان الأتراك والأتراك المستعربون يبدون ازدراء عميقا تجاه الأهالي ويبعدونهم عن المناصب الحساسة، وكانت النتيجة أن السلطة الفعلية للحكومة كانت تتمركز بشكل كبير في المناطق الحضرية في طرابلس الغرب وبالمدن الساحلية في الغالب.